

مُخَصَّرُ الْمَقَالَةِ
فِي الْعَدْرِ وَالْجَمَالَةِ

للسَّيِّحِ الْفَاضِلِ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْحَكِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحْفَوظَةٌ
بِمَجْمَعِ حَقُوقِ

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ

مُخْتَصِرُ الْمَقَالَةِ
فِي الْعَذَابِ الْجَهَنَّمِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه كلمة أستعين الله عزَّ وجلَّ على بيانها؛ لحصول خلاف بين إخواننا فيها، وأرى من المهم اختصارها في عدة فقرات، فأقول مستمداً توفيق الله تعالى:

❖ الفقرة الأولى:

الكفار الذين أبان الله كفرهم في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [٧٢] [المائدة: ٧٢].

وقال **عزَّجَل**: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ آفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْوِمُوا نَسَلَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَبْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: ٥٠-٥٣].

وقال الله **عزَّجَل**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِنَاهُمْ صِغْفِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦٩﴾﴾ [البينة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١١-١٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]، فهؤلاء أبان الله عزَّ وجلَّ أنه أقام حججه عليهم فأعرضوا، فلا يجوز البتة التردد في كفرهم في الدنيا، والحكم لمن مات منهم على ذلك بالخلود في النار؛ لهذه الأدلة، وغيرها.

❖ الفقرة الثانية:

أهل الفترة، وهم كما قال ابن الأثير في «النهاية»: مَا بَيْنَ الرَّسُولَيْنِ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي انْقَطَعَتْ فِيهِ الرَّسَالَةُ، وَمِنْهُ فَتْرَةٌ مَا بَيْنَ عِيسَى، وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اهـ.

وقال الراغب: **الْفُتُورُ**: سكون بعد حدة، ولين بعد شدة، وضعف بعد قوّة. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]، أي: سكون حال عن مجيء رسول الله ﷺ. اهـ.

وقال الفيروزآبادي في «القاموس»: والفترة: ما بين كل نبين. اهـ.

وهذا قول سائر من رأيت من أهل اللغة، وقد نقل الإجماع عليه.

قال الأوسي في «روح المعاني» (١٠٣/٦) عند آية (١٩) من المائدة: وهي

عند جميع المفسرين انقطاع ما بين الرسولين. اهـ.

• وأهل الفترة، منهم:

من بلغه دين النبي الذي قبله فأخذ به، وهذا الصنف من الناجين من عذاب الله كما هو شأن من مات على توحيد الله عزَّجَلَّ، كزَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، فقد بوب البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ مِنْ «صحيحه»، (٢٤): بَابُ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ، قَالَ (٣٨٢٦): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، حَدَّثَنَا فَضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِ حِمْيَرَ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيِ، فَقَدِمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَفْرَةٌ، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ أَكُلُ بِمَا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلَا أَكُلُ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعْيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ، إِنْكَارًا لِذَلِكَ وَإِعْظَامًا لَهُ».

قَالَ مُوسَى: حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا تَحَدَّثَ بِهِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍو: «أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتَّبِعُهُ، فَلَقِيَ

عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبَرَنِي، فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيحِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنْتَى أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تُدَلِّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيحِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفْرُ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنْتَى أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تُدَلِّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ».

وَقَالَ اللَّيْثُ، كَتَبَ إِلَى هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: «رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ، لَا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَثُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا تَرَعَرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَثُونَتَهَا».

وأخرج أبو يعلى في «مسنده» (٩٧٣)، قال: حَدَّثَنَا مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا

الضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: «يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ»، وإسناده حسن

وأخرج الحاكم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «المستدرک» (٢١٦/٣)**، بسند حسن، من حديث زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قصة زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ مع النبي ﷺ، وفي آخره: وَمَاتَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ».

قال الحاكم: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُجْرِّجَاهُ، وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْحَدِيثَ عَرَفَ فَضْلَ زَيْدٍ وَتَقَدُّمَهُ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ الدَّعْوَةِ. والحديث في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»، لشيخنا **رَحْمَةُ اللَّهِ** رقم (٣٥٤).

وكذا ورقة بن نوفل، كما عند البخاري (٣)، ومسلم (٣٠٤)، عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، وفيه: فَقَالَتْ لَهُ خَدِجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ

يَنْسَبُ وَرَقَّةٌ أَنْ تُؤْفَى، وَقَتَرَ الْوَحْيُ.

وفي «الصحيحة» للعلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ (٤٠٥):

«لَا تَسُبُّوا وَرَقَّةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهَا جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ»، أخرجها الحاكم (٦٠٩/٢) من طريق أبي سعيد الأشج، قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَرْفُوعًا، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ». ووافقه الذهبي. وهو كما قالوا.

وقال البزار: لَا تَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ مُسْنَدًا إِلَّا أَبُو سَعِيدٍ.

قُلْتُ: واسمه عبد الله بن سعيد، وهو ثقة من رجال الشيخين.

ولذلك **قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٩/٣):** وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ،

وَرُوي مُرْسَلًا، وَهُوَ أَشْبَهُ.

قُلْتُ: لكن له شاهد من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا.

أخرج البزار (٢٧٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٦٦/١٧)، من طريقين

عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْهُ، وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا بَأْسَ بِهِ فِي الشُّوَاهِدِ، وَالْحَدِيثُ سَكَتَ عَنْهُ

فِي «الفتح» (٧٢٠/٨). اهـ.

ولهذا ترجم له ابن حجر، وآخرون في الصحابة.

• الصنف الثاني: من أهل الفترة:

من بلغته دعوة نبي قبله فأعرض، وهذا الصنف محكوم عليهم بالكفر والضلال المبين، قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [الجمعة: ٢].

وأخرج مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥)، عَنْ عِيَّاصِ بْنِ حِمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ**، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبِيَّتَهُمْ وَعَجَمَتَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي (شرح مسلم):

قَوْلُهُ **ﷺ**: «وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبِيَّتَهُمْ وَعَجَمَتَهُمْ» الْإِبْقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: «الْمَقْتُ أَشَدُّ الْبُغْضِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْمَقْتُ وَالنَّظَرُ مَا قَبْلَ

بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُرَادُ بَبَقَايَا أَهْلِ الْكِتَابِ الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِهِمْ الْحَقُّ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ. اهـ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي، وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمِ (٢٠٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شرح مسلم»:

قَوْلُهُ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي قَالَ فِي النَّارِ فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ فَقَالَ إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»: فِيهِ: أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ، وَفِيهِ: أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَيْسَ هَذَا مُوَآخِذَةً قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. اهـ.

وَقَالَ حُدَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٠٦)، وَمُسْلِمٌ (١٨٤٧).

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السَّلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَتَمُّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بَرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَحْفِيًّا جُرَاءً عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟

قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أُرْسَلَنِي اللَّهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ، قَالَ: «أُرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٣٢).

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خُطْبَتِهِ أَمَامَ النَّجَاشِيِّ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسَبِّئُ الْجَوَارِيَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِمَّا الضَّعِيفُ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِمَّنْ نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، «فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالِدَّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ»، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَدَّوْنَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ

الله، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْحَبَائِثِ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلِيٌّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَافِقَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلَقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمَ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أَكَادُ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٧٤٠)، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ مَخْرُجٌ فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ» لِشَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ (١٦٥١).

وأخرج البخاري (٣١٥٩)، قال: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الرَّقِيِّ، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيُّ، وَزِيَادُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ، قَالَ: بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الْأَمْصَارِ، يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَسْلَمَ الْهَرْمُزَانُ، فَقَالَ: إِنِّي مُسْتَشِيرُكَ فِي مَعَازِي هَذِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ مِثْلَهَا وَمِثْلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجْلَانِ، فَإِنْ كَسِرَ أَحَدَ الْجَنَاحَيْنِ نَهَضَتِ الرَّجْلَانِ بِجَنَاحِ وَالرَّأْسِ، فَإِنْ كَسِرَ الْجَنَاحَ الْآخَرَ نَهَضَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ، وَإِنْ شُدَّخَ الرَّأْسُ ذَهَبَتِ الرَّجْلَانِ وَالْجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ، فَالرَّأْسُ كِسْرَى، وَالْجَنَاحُ قَيْصَرٌ،

وَالجَنَاحُ الْآخِرُ فَارِسُ، فَمُرِّ الْمُسْلِمِينَ، فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى، - وَقَالَ بَكْرٌ، وَزِيَادٌ جَمِيعًا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حِيَّةٍ - قَالَ: فَندَبْنَا عُمَرَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْنَا النُّعْمَانَ بْنَ مُقَرِّنٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَرْضِ الْعَدُوِّ، وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلٌ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمَنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ.

فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أَنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمَصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعْرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنا رَسُولُ رَبِّنَا ﷺ: «أَنْ نُقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحَدَهُ، أَوْ تُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكَ رِقَابَكُمْ»، فَقَالَ النُّعْمَانُ: رَبِّمَا أَشْهَدَكَ اللَّهُ مِثْلَهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَنْدَمْكَ، وَلَمْ يُخْرِكَ، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ الْقِتَالَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانِ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، انْتظَرَ حَتَّى يَهُبَّ الْأَرْوَاحُ، وَتَحْضَرَ الصَّلَوَاتُ».

وهذا الصنف من أهل الفترة نقل الإجماع على كفرهم.

قال القرافي رحمه الله في «شرح تنقيح الفصول» (٢٩٧): فإن قواعد العقائد،

كان الناس في الجاهلية مكلفين بها إجماعاً، ولذلك انعقد الإجماع على أن موتاهم

في النار يعذبون على كفرهم. اهـ.

• الصنف الثالث:

وهم من لم تبلغهم الدعوة لا يحكم لهم بجنة ولا نار، وإنما يختبرون يوم القيامة فمن أطاع الله دخل الجنة ومن عصى الله دخل النار بدليل:

ما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ (١٦٣٠١): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا

مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمٌ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقٌ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فِتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصَّبِيَّانُ يَخْدِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقَلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَائِقَهُمْ لِيُطِيعَنَّهُ، فَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»، وهو حديث صحيح مخرج في «الصحيح المسند» لشيخنا رَحِمَهُ اللهُ برقم (٢٤).

ومثله حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٦٣٠٢)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ

بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنِ أَبِي

هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: «فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا»، وَهُوَ صَحِيحٌ بِمَا قَبْلَهُ.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ أَنَسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، سَاقَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» تَحْتَ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ۗ﴾ [الإسراء: ١٥]:

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ لَيْثٍ عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «يُؤْتَى بِأَرْبَعَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: بِالْمَوْلُودِ، وَالْمُعْتَوَةِ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ، وَالشَّيْخِ الْفَانِي الْهَرِمِ كُلُّهُمْ يَتَكَلَّمُ بِحُجَّتِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لِعُنْتِي مِنَ النَّارِ ابْرُزْ، وَيَقُولُ هُمْ: إِنِّي كُنْتُ أَبْعَثُ إِلَى عِبَادِي رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنِّي رَسُولُ نَفْسِي إِلَيْكُمْ ادْخُلُوا هَذِهِ، قَالَ: يَقُولُ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ: يَا رَبِّ أَنَّى نَدْخُلُهَا وَمِنْهَا كُنَّا نَفِرُّ؟ قَالَ: وَمَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ يَمْضِي فَيَقْتَحِمُ فِيهَا مَسْرَعًا، فَقَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتُمْ لِرُسُلِي أَشَدُّ تَكْذِيبًا وَمَعْصِيَةً، فَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ وَهَؤُلَاءِ النَّارَ».

وقال رحمه الله:

الْحَدِيثُ الْخَامِسُ: عَنْ ثَوْبَانَ. قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ الْبَرَّازِيُّ فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدِ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا رِيحَانُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَظَّمَ شَأْنَ الْمَسْأَلَةِ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ تُرْسِلْ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَلَمْ يَأْتِنَا لَكَ أَمْرٌ، وَلَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَكُنَّا أَطْوَعَ عِبَادِكَ، فَيَقُولُ لَهُمْ رَبُّهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ تُطِيعُونِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَعْمِدُوا إِلَى جَهَنَّمَ فَيَدْخُلُوهَا، فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا وَجَدُوا لَهَا تَعْيِظًا وَزَفِيرًا، فَارْجِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا أَوْ اجْرِنَا مِنْهَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَرَعُمُوا أَنِّي إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ تُطِيعُونِي فَيَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مَوَاقِفَهُمْ، فَيَقُولُ: اعْمِدُوا إِلَيْهَا فَادْخُلُوهَا، فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا فَرَقُوا مِنْهَا وَارْجِعُوا وَقَالُوا: رَبَّنَا فَرَقْنَا مِنْهَا وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَدْخُلَهَا، فَيَقُولُ: ادْخُلُوهَا دَاخِرِينَ»، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَخَلُوهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا».

ثُمَّ قَالَ الْبَرَّازُ: وَمَثْنُ هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، لَمْ يَرَوْهُ عَنْ أَيُّوبَ إِلَّا عَبَّادٌ، وَلَا عَنْ عَبَّادٍ إِلَّا رِيحَانُ بْنُ سَعِيدٍ.

قلت: وقد ذكره ابن حيان في ثقافته.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَالتَّسَائِي: لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَمْ يَرَوْهُ عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: شَيْخٌ لَا بَأْسَ بِهِ يَكْتَبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ.

الْحَدِيثُ السَّادِسُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ سِنَانِ الْخُدْرِيِّ. قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الدُّهَلِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ عَنْ

عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ وَالْمُعْتَوَةُ وَالْمَوْلُودُ، يَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ: لَمْ يَأْتِنِي كِتَابٌ، وَيَقُولُ الْمُعْتَوَةُ: رَبِّ لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلًا أَعْقِلُ بِهِ خَيْرًا وَلَا شَرًّا، وَيَقُولُ الْمَوْلُودُ: رَبِّ لَمْ أُدْرِكِ الْعَقْلَ، فَتُرْفَعُ هُمُ نَارًا، فَيَقَالُ لَهُمْ: رِدْوَهَا، قَالَ: فَيَرِدُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ سَعِيدًا لَوْ أُدْرِكَ الْعَمَلُ، وَيُمْسِكُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ شَقِيًّا لَوْ أُدْرِكَ الْعَمَلُ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ لَوْ أَنَّ رُسُلِي أَتَيْتُكُمْ؟!»، وَكَذَا رَوَاهُ الْبَرَّازُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ هِيَاجِ الْكُوفِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى عَنْ فَضِيلِ بْنِ مَرْزُوقٍ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا يُعْرَفُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ عَنْ عَطِيَّةَ عَنْهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «فَيَقُولُ اللَّهُ إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بِرُسُلِي بِالْغَيْبِ؟».

الْحَدِيثُ السَّابِعُ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ وَاقِدٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ حَلْبَسٍ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْحَوْلَانِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْمُسُوخِ عَقْلًا وَبِالْهَالِكِ فِي الْفِتْرَةِ وَبِالْهَالِكِ صَغِيرًا، فَيَقُولُ الْمُسُوخُ: يَا رَبِّ لَوْ آتَيْتَنِي عَقْلًا مَا كَانَ مِنْ آتِيئِهِ عَقْلًا بِأَسْعَدَ مِنِّي»، وَذَكَرَ فِي الْهَالِكِ فِي الْفِتْرَةِ وَالصَّغِيرِ نَحْوَ ذَلِكَ «فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: إِنِّي أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرِ فَطَطِيعُونِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: وَلَوْ دَخَلُوهَا مَا ضَرَّتْهُمْ، فَتَخْرُجُ عَلَيْهِمْ قَوَابِضُ فَيُظَنُّونَ أَنَّهَا قَدْ أَهْلَكَتْ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فَيَرْجِعُونَ سَرَاعًا، ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ ثَانِيَةً، فَيَرْجِعُونَ كَذَلِكَ،

فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ: قَبْلَ أَنْ أُخْلِقَكُمْ عَلِمْتُ مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ، وَعَلَى عِلْمِي خَلَقْتُكُمْ، وَإِلَى عِلْمِي تَصِيرُونَ، صُمِّيهِمْ، فَتَأْخُذُهُمُ النَّارُ».

وقال ابن كير رَحِمَهُ اللهُ: وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ يُمْتَحَنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي

الْعَرَصَاتِ، فَمَنْ أَطَاعَ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَانْكَشَفَ عِلْمُ اللهِ فِيهِمْ بِسَابِقِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ عَصَى دَخَلَ النَّارَ دَاخِرًا، وَانْكَشَفَ عِلْمُ اللهِ بِهِ بِسَابِقِ الشَّقَاوَةِ. وَهَذَا الْقَوْلُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَدِلَّةِ كُلِّهَا، وَقَدْ صَرَّحَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الْمُتَقَدِّمَةُ الْمُتَعَاضِدَةُ الشَّاهِدُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُوَ الَّذِي نَصَرَهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ «الْإِعْتِقَادِ»، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ مُحَقِّقِي الْعُلَمَاءِ، وَالْحَفَاطِ النَّقَادِ. اهـ.

وبمثل هذا قول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي «أحكام أهل الذمة» (٢/٢٥٦): الْمَذْهَبُ

الْعَاشِرُ: أَنَّهُمْ يُمْتَحَنُونَ فِي الْآخِرَةِ: وَيُرْسَلُ إِلَيْهِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولًا، وَإِلَى كُلِّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ: فَمَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ. وَعَلَى هَذَا، فَيَكُونُ بَعْضُهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَبَعْضُهُمْ فِي النَّارِ.

وَهَذَا قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالْحَدِيثِ: حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ عَنْهُمْ فِي كِتَابِ

«الْإِبَانَةِ»، الَّذِي اتَّفَقَ أَصْحَابُهُ عَلَى أَنَّهُ تَأْلِيفُهُ، وَذَكَرَهُ ابْنُ فُورَكٍ، وَذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَصَانِيفِهِ، وَذَكَرَ لَفْظَهُ فِي حِكَايَتِهِ قَوْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ، وَطَعَنَ

بِذَلِكَ عَلَى مَنْ بَدَعَ الْأَشْعَرِيَّ وَضَلَّهٗ، قَالَ فِيهِ: «وَجُمْلَةُ قَوْلِنَا أَنْ نُقَرَّ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ، وَمَا رَوَى لَنَا الثَّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تَرُدُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا»، **إِلَى أَنْ قَالَ:** «وَقَوْلُنَا فِي الْأَطْفَالِ - أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ - أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُوجِّعُ هُمْ نَارًا فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اقتحموها» كَمَا جَاءَتِ الرَّوَايَةُ بِذَلِكَ»، هَذَا قَوْلُهُ فِي «الإبَانَةِ» وَهُوَ مِنْ آخِرِ كُتُبِهِ.

وَقَالَ فِي كِتَابِ «الْمَقَالَاتِ»: وَإِنَّ الْأَطْفَالَ أَمَرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَفَّرَهُمْ كَمَا يُرِيدُ.

وَهَذَا الْمَذْهَبُ حَكَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيِّ فِي كِتَابِهِ فِي «الرَّدِّ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ»، وَاحْتَجَّ لَهُ فَقَالَ: ذَكَرُ الْأَخْبَارِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا مَنْ أَوْجَبَ امْتِحَانَهُمْ، وَاخْتِبَارَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. اهـ. وساق جملة من الأحاديث منها ما تقدم ذكره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «درء تعارض العقل والنقل» (٤٠١/٨):

وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين، بأنه في الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا. اهـ.

❖ الفقرة الثالثة:

وفيها الكلام على مسألة العذر بالجهل، وصورتها فيمن بلغه شيء من الإسلام فعمل بما بلغه وجاهل ما تركه كفر أكبر، أو ارتكب مكفرًا جهلاً منه أن

وأنواع الردة كثيرة:

- منها النفاق الاعتقادي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ

نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا

أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴿١٤٦﴾، إلى قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ

سَوَاءً ﴿١٤٧﴾ [النساء: ٨٧-٨٨].

وقال النبي ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ

مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

أخرجه مسلم (١١٨).

- ومنها ترك الصلاة:

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ

الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن

ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٣٤٦/٥)، وهو حديث صحيح مخرج في «الصحيح المسند»

لشيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ رقم (١٧١)، وقال ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرَكَ

الصَّلَاةَ»، أخرجه مسلم (٨٢٨)، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• ومنها الاستهزاء بالله وآياته ورسوله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾
[التوبة: ٦٥-٦٦]، الآية، وغير ذلك كثير، لسنا في صدد سردها بأدلتها.

وقد جعل الإمام البخاري رَحْمَةُ اللَّهِ الْبَاب (٨٨) من «صحيحه»: كِتَابُ اسْتِثَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ وذكر منها جملة، وصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحْمَةُ اللَّهِ رسالة: «نواقض الإسلام»، فقال:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

• **الأول:** الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]؛
ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو للقبر.

• **الثاني:** من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، كفر إجماعا.

• **الثالث:** من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر.

• **الرابع:** من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم

غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

• **الخامس:** من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به، كفر.

• **السادس:** من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ، أو ثواب الله، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

• **السابع:** السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به، كفر.

والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

• **الثامن:** مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

• **التاسع:** من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ

كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو كافر.

• **العاشر:** الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢]، ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد

والخائف، إلا المكره. وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً.

فينبغي للمسلم أن يحذرهما ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ.

❖ الفقرة الرابعة: موانع التكفير:

فهذا الصنف الذي أخذ من الإسلام ما بلغه، ثم ارتكب ناقضاً لإسلامه، ينظر هل علم أن هذا العمل الذي عمله كفر وردة عن الإسلام، أم أنه فعله عن جهل أو خطأ، كما قال ذلك الرجل: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ، أخرجَه مسلم (٧/٢٧٤٧)، وهذا نصه: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ أَشَدَّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، فَأَيْمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»، ونحوه مما يكون مانعاً لتكفيره حتى تقوم عليه الحجة التي هي مراد الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وفي البخاري من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ يَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، يَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ يَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، يَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ يَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَشَهِدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:

مَخَصَّرُ الْمَقَالَةِ

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]،
وَالْوَسْطُ: الْعَدْلُ»، وخطب النبي ﷺ الناس في حجة الوداع، وقال: «أَلَا هَلْ
بَلَّغْتُ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

وسمى الله عزَّوجلَّ كتابه بياناً للناس، فقال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل
عمران: ١٣٨]، وما أرسل الله رسله بألسنة قومهم؛ إلا ليعينوا لهم مراد الله منهم،
قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللَّهُ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقد أبان الله عزَّوجلَّ أنه ما أهلك الأمم الماضية إلا بعد البيان لهم، قال
تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [٣٨] وَقُرُونِ
وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا
سَاقِئِينَ﴾ [٣٩] فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ
أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٨-٤٠].

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّمَّنَّا وَحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَيْهِ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ عَذَابًا مِنَ الكَذَّابِ الْآثِرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَنْتَقِبُهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴿٢٧﴾ وَيَبْتَهِمُونَ الْمَاءَ قِسْمَةً بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيرِ الْمُحْطَبِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القمر: ١٨-٤٢].

فيعلم من هذه الأدلة، وغيرها كثير، أن إقامة الحججة على العباد على أمر مهم، لأجله أنزل الله كتبه، وأرسل رسله، قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِيهَا

مختصر المقالة

أُمُّهَا رَسُولًا يَتَلَوْنَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾
[القصص: ٥٩].

ومن أدلة الباب: حديث معاوية رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا حَتَّى ذَهَبَ عَصْرٌ، وَجَاءَ آخَرٌ، فَلَمَّا اخْتَضَرَ قَالَ لَوْلَيْدِهِ: أَيِّ أَبِي كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبِي. فَقَالَ: هَلْ أَنْتُمْ مُطِيعِي؟ وَإِلَّا أَخَذْتُ مَالِي مِنْكُمْ. انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ أَنْ تُحْرِقُونِي حَتَّى تَدْعُونِي حُمًّا، ثُمَّ اهُرْسُونِي بِالْمُهْرَاسِ»، وَأَدَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ حِذَاءَ رُكْبَتَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَفَعَلُوا وَاللَّهِ»، وَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ هَكَذَا، «ثُمَّ اذْرُونِي فِي يَوْمٍ رَاحَ لَعَلِّي أَضِلُّ اللَّهُ»، كَذَا قَالَ عَفَّانٌ، وَقَالَ مَهْنًا أَبُو شَبَلٍ، عَنْ حَمَّادٍ: «أَضِلُّ اللَّهُ فَفَعَلُوا، وَاللَّهِ ذَلِكَ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَهُ؟» قَالَ: مِنْ مَخَافَتِكَ فَتَلَا فَاهُ اللَّهُ بِهَا، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٠٠٢٤)، وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ، وَهُوَ صَحِيحٌ بِمَا بَعْدَهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِنَبِيِّهِ إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ فَفَعَلْتَ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ قَالَ يَا رَبِّ خَشِيتُكَ فَغَفَرَ لَهُ» وَقَالَ غَيْرُهُ مَخَافَتِكَ يَا رَبِّ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٩٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٥٦).

وقال الإمام أحمد في «مسنده» رقم (٨٠٤٠): حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ**، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ، فَلَمَّا اخْتَضَرَ قَالَ لِأَهْلِهِ»، فذكر الحديث، وهذا سند صحيح، رجاله ثقات، وصححه الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «الصحيحة» (٣٠٤٨)، ومحققا الحديث في «مسند أحمد».

وقال الإمام أحمد (٣٧٨٥): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، فَذَكَرَهُ مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، وَهَذَا سَنَدُهُ حَسَنٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ حَمَّادًا حَمَلَهُ عَلَى الْوَجْهِينَ، وَهُوَ صَحِيحٌ مَرْفُوعًا، وَمَوْقُوفًا إِنْ لَمْ يَكُنْ اضْطُرَبَ فِيهِ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذَا الرَّجُلُ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِذَا تَفَرَّقَ هَذَا التَّفَرُّقُ فَظَنَّ أَنَّهُ لَا يُعِيدُهُ إِذَا صَارَ كَذَلِكَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ إِنْكَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْكَارِ مَعَادِ الْأَبْدَانِ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ كَفَرَتْ؛ لَكِنَّهُ كَانَ مَعَ إِيْمَانِهِ بِاللَّهِ وَإِيْمَانِهِ بِأَمْرِهِ وَخَشْيَتِهِ مِنْهُ جَاهِلًا بِذَلِكَ ضَالًّا فِي هَذَا الظَّنِّ مُحْطِئًا، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ. وَالْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الرَّجُلَ طَمِعَ أَنْ لَا يُعِيدَهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ (١). اهـ.

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤٠٩/١).

وقال في موضع آخر: فَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ قَدْ وَقَعَ لَهُ الشَّكُّ وَالْجُهْلُ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِعَادَةِ ابْنِ آدَمَ؛ بَعْدَ مَا أُحْرِقَ وَذُرِيَ، وَعَلَى أَنَّهُ يُعِيدُ الْمَيِّتَ وَيَحْشُرُهُ إِذَا فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، وَهَذَانِ أَصْلَانِ عَظِيمَانِ:

- **أَحَدُهُمَا:** مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
- **وَالثَّانِي:** مُتَعَلِّقٌ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: وَهُوَ الْإِيْمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ يُعِيدُ هَذَا الْمَيِّتَ وَيَجْزِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَمَعَ هَذَا فَلَمَّا كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ فِي الْجُمْلَةِ وَمُؤْمِنًا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي الْجُمْلَةِ..؛ - هو مسلم في الجملة جهلٌ أمورًا يعني: وقع في كفرات جاهلاً -، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَقَدْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا - وَهُوَ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى ذُنُوبِهِ - عَفَرَ اللَّهُ لَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ (١). اهـ.

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ ابن حجر: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: قَدْ يُسْتَشْكَلُ هَذَا فَيُقَالُ: كَيْفَ يُعْفَرُ لَهُ وَهُوَ مُنْكَرٌ لِلْبَعْثِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكَرِ الْبَعْثَ وَإِنَّمَا جَهَلَ، فَظَنَّ أَنَّهُ إِذَا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ لَا يُعَادُ فَلَا يُعَدَّبُ، وَقَدْ ظَهَرَ إِيمَانُهُ بِاعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (٢). اهـ.

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤٩١/١٢).

(٢) «الفتح» (٣٤٨١).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا جَهْلُ هَذَا الرَّجُلِ الْمَذْكُورِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِصِفَةِ مَنْ صَفَاتِ اللهِ فِي عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُخْرِجِهِ مِنَ الْإِيمَانِ، - ثم استدلَّ على ذلك بسؤال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عن القدر - .

ثم قال: وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ إِنَّمَا سَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ، وَغَيْرُ جَائِزٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا بِسُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ كَافِرِينَ أَوْ يَكُونُوا فِي حِينِ سُؤَالِهِمْ عَنْهُ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ. اهـ من «التمهيد» (٤٦/١٨).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ بعدما ذكر الحديث:

فَهَذَا إِنْسَانٌ جَهْلٌ إِلَى أَنْ مَاتَ: أَنْ اللهُ عَزَّجَلَّ يَقْدِرُ عَلَى جَمْعِ رَمَادِهِ وَإِحْيَائِهِ، وَقَدْ غَفَرَ لَهُ لِإِقْرَارِهِ، وَخَوْفِهِ، وَجَهْلِهِ. اهـ من «الفصل» (١٤٠/٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، - عن حكم من جحد فرضاً من فرائض

الإسلام -: أَمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلًا أَوْ تَأْوِيلًا يُعَدَّرُ فِيهِ صَاحِبُهُ، فَلَا يَكْفُرُ صَاحِبُهُ بِهِ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُحَرِّقُوهُ وَيَذْرُوهُ فِي الرَّبْحِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَرَحِمَهُ؛ لِجَهْلِهِ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغُ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللهِ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَادًا أَوْ تَكْذِيبًا.

وَيُذَكَّرُ فِي الْبَابِ: حَدِيثُ أَبِي وَقْدِ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ

مختصر المقالة

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكَفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةِ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨]، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكِبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةَ سُنَّةٍ» (١)، فنبى الله موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا طَلَبُوا عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ، قَالَ:

(١) أخرجه أحمد (٢١٨٩٧)، وهو حديث صحيح، من طريق الزهري، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّوَلِيِّ ثُمَّ الْجُنْدَعِيِّ، وَقَدْ أَخْرَجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهَا اعْتِضَادًا، وَلِهَذَا أُطْلِقَ تَوْثِيقُهُ جَمَاعَةً: كَالْعَجَلِيِّ وَالذَّهَبِيِّ، وَابْنِ خَلْفُونَ، وَابْنِ حَجْرٍ، وَصَحَّحَ حَدِيثَهُ هَذَا أَعْدَادٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، وَصَحَّحَ لَهُ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيثَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِابْنِ صِيَادٍ «أَحْسَأُ، فَلَنْ تَعْدُوا قَدْرَكَ»، فِي «الصَّحِيحِ الْمُسْنَدِ»

فَعَلِمَ بِهَذَا أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْهُولِ الْحَالِ، فَإِنْ مِنْ أَخْرَجَ لَهُ الشَّيْخَانُ وَلَوْ اعْتِضَادًا تَرْتَفَعُ عَنْهُ الْجَهَالَةُ كَمَا فِي «مَقْدِمَةِ الْفَتْحِ» الْفَصْلِ التَّاسِعِ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: فَإِمَّا مِنْ خَرَجَ لَهُ فِي الْمَتَابَعَاتِ وَالشُّوَاهِدِ وَالتَّعَالِيقِ، فَهَذَا يَتَفَاوَتُ دَرَجَاتٍ مِنْ أَخْرَجَ لَهُ مِنْهُمْ فِي الضَّبْطِ وَغَيْرِهِ مَعَ حُصُولِ اسْمِ الصَّدَقِ لَهُمْ، وَقَالَ بَعْدَهَا بِأَسْطَرٍ: فَأَمَّا جَهَالَةُ الْحَالِ فَمِنْدَفَعَةٌ عَنْ جَمِيعٍ مِنْ أَخْرَجَ لَهُمْ فِي الصَّحِيحِ لِأَنَّ شَرْطَ الصَّحِيحِ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُ مَعْرُوفًا بِالْعَدَالَةِ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ مَجْهُولٌ فَكَأَنَّهُ نَازِعَ الْمُصَنِّفِ فِي دَعْوَاهُ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُدَّعِيَّ لِمَعْرِفَتِهِ مُقَدَّمٌ عَلَى مَنْ يَدَّعِي عَدَمَ مَعْرِفَتِهِ. اهـ.

قُلْتُ: وهذا القول وما قبله أن اسم الصدق حاصل لمن أخرج له البخاري في المتابعات يقدم على قول العقيلي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في ترجمة عمر بن داود، من «ميزان الاعتدال» للذهبي عن سنان بن أبي سنان: مجهول كشيخه. اهـ.

﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فأبان بأنهم أتوا من قبل جهلهم، وإلا فهذا الطلب كفري.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيهم لكفروا - أي: بعد البيان لهم - (١).

هذه جملة مهمة في هذه المسألة تبين: أن القول: بالعدر بالجهل قول صحيح لمن لم تبلغه الحجة وليس معرضاً، ولا معانداً بأنه يُعذر بجهله، ويؤيد ذلك أيضاً: ما خرجة شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٢٩٣):

قال الإمام أبو عبد الله بن ماجه (٤٠٤٩): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يَذْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَذْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يَذْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ

(١) «كشف الشبهات» (٤٤/١-٤٥).

مختصر المقالة

الكبير، والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها، فقال له صلة: ما تُغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نُسك ولا صدقة؟»، فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثاً كل ذلك يُعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تُنجيهم من النار ثلاثاً، وأخرجه الحاكم (٨٦٦٨، ٨٨٥٠) من طريق أبي معاوية، به، وهذا سند صحيح.

وقال البزار في «مسنده» (٢٨٣٨): رواه جماعة عن أبي مالك، عن ربيعي، عن حذيفة موقوفاً، ولا نعلم أحداً أسنده إلا أبو كريب، عن أبي معاوية. - وساق بعده رقم (٢٨٣٩) - **قال:** حدثننا به أبو كامل، قال: أخبرنا أبو عوانة، عن أبي مالك، عن ربيعي، عن حذيفة بنحوه موقوفاً. اهـ.

قلت: وسند المرفوع صحيح، وأبو كريب، وأبو معاوية الضريير ثقتان حافظان، اعتمدهما الجماعة، وعلى تقدير ترجيح الموقوف فله حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال إلا عن توقيف، وقد صحح المرفوع الحاكم في «المستدرک» (٨٦٦٨)، فقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. اهـ. وأقر الحافظ تصحيحه في «فتح الباري» (٢٨٧/١٣)، وقال (١٦/١٣): سنده قوي. اهـ.

وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه»: إسناده صحيح ورجالها ثقات. اهـ.

وصححه العلامة الألباني في «الصحيحة» (٨٧).

قُلْتُ: ولا مانع من صحته مرفوعاً وموقوفاً.

ومعناه: أن جيلاً بعد جيل من هؤلاء البشر جهلوا أركان الإسلام الأربعة، وغيرها من دين الله وما بقي معهم إلا: لا إله إلا الله، فلا يصلون، ولا يصومون، ولا يزكون، ولا يحجون، فلما جهلوا ذلك ولم تبلغهم حجة الله تنجيهم هذه الكلمة من النار؛ كما قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا من أدلة: العذر بالجهل.

وحكى ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمَحَلِيِّ بِالْأَثَارِ» (١٣٥/١٢): أنه لا خلاف أن المرء يُعذر بالجهل؛ حيث قال: وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ امْرَأً لَوْ أَسْلَمَ وَلَمْ يَعْلَمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ فَاعْتَقَدَ أَنَّ الْحُمْرَ حَلَالٌ، وَأَنَّ لَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ صَلَاةٌ، وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْهُ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ كَافِرًا بِلَا خِلَافٍ يُعْتَدُّ بِهِ، حَتَّى إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ فَتَمَادَى حِينَئِذٍ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ فَهُوَ كَافِرٌ. اهـ.

ومن قامت الحجة على كفره البواح، فأعرض، شرع تكفيره؛ لحديث عبادة بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» (١).

أما من لم تبلغه الحجة، أو لم يفهمها، ما بينت له، **مثل:** إنسان أعجمي يُبلغ

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (٤٢/١٧٠٩).

إنساناً عربياً لم يفهم كلامه، أو عربي يُبلغ أعجمياً، بدون من يوضح كلامه فما تبينت له الحجة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]، فعبد ما قصر في طلبها؛ إنما لم تبلغه الحجة وغير مفرط في ذلك؛ فهذا الأدلة تدل على أنه يُعذر بجهله ذلك؛ فلا يحكم عليه بالكفر، ولا بما يترتب عليه، وأمره في الآخرة إلى الله عز وجل.

ويترتب على الحكم على الشخص بالكفر، أمور عظيمة مذكورة بأدلتها، في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

• من ذلك: أنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتداً، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»، أخرجه البخاري (٦٩٢٢).

• ومنها: انقطاع ولايته وأخوته الدينية للمسلمين، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، الآية.

• ومنها: أنه لا يُزوج بالمسلمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١].

• ومنها: لا ولاية له على موليّاته المسلمات، قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ

لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَيِّئًا ﴿١٤١﴾ [النساء: ١٤١].

• **ومنها:** لا يرث أقاربه، ولا يرثونه؛ لحديث: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»، متفق عليه.

• **ومنها:** لا يدخل مكة وحرمها، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨].

• **ومنها:** لا تؤكل ذبيحته بالإجماع، نقله غير واحد، منهم: ابن حزم في المحلى (٣٣/١٢).

• **ومنها:** لا تقبل شهادته على مسلم بالإجماع، لقول الله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، والكافر ليس بعدل، واختلفوا في شهادته على الوصية في السفر.

• **ومنها:** أنه لا تؤخذ منه الزكاة، ولا تعطى له لحديث: «تُؤَخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ»، متفق عليه.

• **ومنها:** أنه لا يُصلي عليه المسلمون إذا مات: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

• **ومنها:** أنه لا يُصلي خلفه، بلا خلاف؛ لأن صلواته وجميع أعماله محبوبة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ

مختصر المقالة

أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾
 [البقرة: ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾
 [الفرقان: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال:
 ﴿لَيْتَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

• **ولا يستغفر له بعد موته**، قال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ أَسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤].

ويتمب على: من حُكِمَ عليه بالكفر ببرهان في الدنيا، اعتقاد خلوده في النار في الآخرة، لقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

فهذا الذي بلغته الحجة وأعرض، وعندنا من الله برهان على تكفيره، يلزم اعتقاد خلوده في النار في الآخرة؛ فقد علم حكم الكافر المعرض في الآخرة بأدلة كثيرة، وجب اعتقاد ما دلت عليه، **منها:**

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَمَا أَنْسَى الْيَوْمَ نَسْيَ ﴿١٢٦﴾ ﴿طه: ١٢٤-١٢٦﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿السجدة: ٢٢﴾، فالجزم له بالكفر البواح القائم على برهان لا يتلاءم معه القول: بأنه يوم القيامة تحت المشيئة!، فلا يصلح القول: بأنه كافر خارج من الملة، وهو يوم القيامة تحت المشيئة!.

أما من قال: لا إله إلا الله، وعمل بما بلغه وعلمه من الدين، وجهل بعض الدين فعمل عملاً كفيراً وكان من حاله: أنه ما بلغته الحجة أو ما تبينت فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة.

ولا تقول: لا يمكن أبداً أن يكون هناك من لم تبلغه الحجة، لتوفر أسباب النشر والرسائل!، ففي أرض الله الواسعة من قد لا تبلغه، ممن يعلمه الله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة: ٢١٦﴾.

فمن فعل الكفر ممن جهل الحجة، يقال: هذا الفعل كفر، والفاعل أمره إلى الله في الأخرى، **ودليل ذلك مع ما تقدم:** ما بوبّ عليه شيخنا **رَحِمَهُ اللهُ** في كتاب التوحيد من «جامعه الصحيح» (٤٣٥/٦) قال: العذر بالجهل، وساق في الباب:

• حديث عَبَادِ بْنِ شَرْحِبِيلَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، قَالَ: أَصَابَتْنِي سَنَةٌ فَدَخَلْتُ حَائِطًا

مِنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ فَفَرَكْتُ سُنْبُلًا فَأَكَلْتُ، وَحَمَلْتُ فِي ثَوْبِي، فَجَاءَ صَاحِبُهُ فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «مَا عَلَّمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلًا، وَلَا أَطَعَمْتَ إِذْ كَانَ جَائِعًا» - أَوْ قَالَ: «سَاعِبًا» - وَأَمَرَهُ فَرَدَّ عَلَيَّ ثَوْبِي وَأَعْطَانِي وَسَقًا أَوْ نِصْفَ وَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ (١).

• **وساق في الباب:** حديث: «لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» (٢).

• **وساق في الباب:** حديث الأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ

قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: - وفيه: - وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَِةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَائِقَهُمْ لِيُطِيعَنَّهُ، فَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَأَنَّ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا» (٣)، فهؤلاء أصناف، ومنهم الذين ماتوا في الفترة يُخْتَبَرُونَ يوم القيامة.

❖ الفقرة الخامسة:

ومن كانت الحججة ظاهرة قائمة، والقرآن يتلى، والسنة تسمع، ولم يكن الجهل عنده إلا عن إعراض لا عن عدم وجود الحججة وتوفرها في ذلك المكان، فهذا يلحق بمن علم الحججة وأعرض عنها؛ لأن جهله عن إعراض لا عن عدم

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٢٠)، وغيره، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٢٨٩)، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٣٠١) وهو حديث صحيح وتقدم بتامه، وشواهد في الفقرة (٢)، (ص ١٤).

وجود الحجة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

المعرض ما يقال عنه معذور، فمثلا: في بلاد اليمن تجد هذا مسجد سنة، مكبر الصوت قد يصل من خلال الخطابة، والدعوة، والمحاضرة، وأدلة التوحيد، وأدلة السنة، وخطر الشرك، وبيان ضرره، إلى مسامع أولئك القبوريين، وهم عرب يفهمون ويسمعون، ولا يزالون مصرّين على الشرك والقبورية، لا يقال في مثل هذا: ما بلغت الحجة؟ حتى وإن كان جاهلاً فعلاً لكن جهله عن إعراض، وعدم مبالاة، وعدم قبول هدى الله.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **عَرَّجَلٌ** «إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةً قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسَلْتُ بِهِ»، وقد تجد من المعرضين عن التوحيد في بعض

مختصر المقالة

بلاد المسلمين من يجادل عن الشريكات بالباطل، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۗ﴾ [غافر: ٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۗ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۗ﴾ [لقمان: ٢٠-٢١].

❖ الفقرة السادسة:

محمل الخلاف في مسألة العذر بالجهل وعدمه، وبيان بطلان بعض أقوال عبد الله الجربوع:

وبعد هذا، فإن جلَّ ما علمته من الخلاف بين إخواننا أهل السنة في هذه المسألة في فقرتين، وهي:

❖ الأولى:

هل يوجد جاهل لم تبلغه الحجة في مثل هذه الأزمان؟

نُقول: الحكم الشرعي شامل لهذه الأزمنة وغيرها، وهذه مسألة مطروحة من قبل حدوث هذه الوسائل، وتقدم أن قلنا: انه حيث وجد من لم تبلغه الحجة جرى عليه ذلك الحكم، والله يعلم في أرضه من لا نعلمه.

❖ الثانية:

وهي أهم، والجدل حولها أشد من التي قبلها:

من دان لله ببعض أمور الإسلام، وجهل بعضه لعدم بلوغ الحجة وبيانها له، أو عمل مكفرًا يجهل أنه يخرج عن الإسلام.

اختلف بعض إخواننا أهل السنة: في الحكم الدنيوي عليه، بعد

اتفاقهم أنه في الآخرة، أمره إلى الله **عَزَّجَلَّ**:

• **فقال بعضهم:** قد عمل الكفر فيحكم به عليه أنه مرتد عن دين الإسلام،

وإنما نعذره في عدم إقامة الحد عليه.

• **وقال بعضهم:** عمل الكفر جهلاً لا عناداً، ولا إعراضاً، فلا خلاف بيننا أن

عمله كفر؛ لكن لا يكفر حتى تقام عليه الحجة التي أراد الله أن تتبين لعباده، فإن

قامت عليه الحجة يكفر، ونقول: بان من مات على الكفر البواح هو في الآخرة من

أهل النار، كما أبان الله **عَزَّجَلَّ** حال الكافرين في الآخرة في آيات كثيرة، وكيف

نكفره قبل بلوغ الحجة عليه، ومع كفره البواح؟ نخالف ما دلت عليه الأدلة: أن

الكفار، من مات منهم على كفره هو من أهل النار، كما تقدم ذكر بعض الأدلة على

ذلك، وهذا القول هو الصواب.

وتلك المقولة: بأنه كافر في الدنيا، ولا نعتقد الجزم بعذبه في الآخرة! قد

جرت بعضهم إلى القول: بأن النصارى عندهم توحيد!، وأنهم يدخلون في حديث العتقاء من النار!.

فقد سمعت كلمة منشورة، لعبد الله الجريوع - هداة الله - قال فيها:

أنا أقول أناس آمنوا بالرسول، آمنوا بكل الأنبياء، وآمن بالشهادتين، وأقر لله بالتوحيد لم يرتكب شركاً أبداً، لقي الله غير مشرك، وفي حديث العتقاء لم يشرك بالله شيئاً، قال: لا أنا سأعيش على دين عيسى آمن بما يؤمن به، لم يكفر بالإيمان بل كل ما يؤمن به آمن به، ويعبد الله أيضاً، قال: سأعبد الله؛ ولكن بشريعة عيسى، هذا ليس بمسلم، هذا كافر بالإجماع؛ لأن نبيه في الحقيقة محمد وهو لم يتبعه؛ لكن هذا الآن الذي عنده توحيد يكون كاليهود الذين عادوا رسول الله، وأرادوا قتله وأشركوا بالله وعبدوا عزيز، وصفاتهم المذكورة في القرآن، ويسعون في الأرض فساداً هل هؤلاء مثل هؤلاء؟

هؤلاء عندهم توحيد؛ لذلك في حديث العتقاء، قال بعض العلماء: أنه يشمل

حتى الأمم السابقة، من كان موحدًا مؤمنًا برسوله من الأمم السابقة.

يقول عبد الغني المقدسي «صاحب المغني»^(١) - صار بينه أظن خلاف مع

(١) صواب: صاحب «العمدة»، أما صاحب «المغني» فهو عبد الله بن أحمد بن قدامة رَحِمَهُ اللهُ، وهذا غير صحيح، سواء نقله عبد الغني كما يزعم أو لم ينقله.

كبار العلماء الحنابلة في هذه المسألة فرد عليهم -، **وقال:** أنا أقول هذا ولا أحابي في الله، وردَّ وأجاب على افتراضاتهم، وقال كلمة وضعها بين قوسين في قلبك، قال: وليس كل من حكمنا بكفره، مخلد في النار. اهـ.



وهذه المقولة الباطلة فيها: خلطٌ وتناقضٌ، **وفهما:** إثبات كافر موحد، ونصراني موحد، وأنَّ النصراني لم يكفر بالإيمان، فهذه مقولة خطيرة جداً، تُعارض أدلة القرآن والسنة:

- الدالة على خلود الكافرين في النار.
- وعلى أن أعمالهم محبوبة.
- وعلى أنهم نقضوا إسلامهم بالكفر فلا يحسب لهم أي عمل عند الله.

أما حديث العتقاء الذي يدندن به حامل هذه المقولة الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)، **وفيه:** «فَيَسْفَعُ النَّيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَّتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ...، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عِتْقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ».

وفي لفظ: «لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ».

فهذه اللفظة منهم من أعلاها، بما حاصله أنه تفرد بهذه اللفظة بعض الرواة

مختصر المقالة

مثل هشام بن سعد، وسويد بن سعيد، وعبد الرزاق، ونحوهم، وخالفهم أعداد من الأئمة، أكثر منهم وأرجح في «الصحيحين»، وغيرهما، فلم يزيدوها، وانظر ما سيأتي من نقل ابن حجر في إعلاها.

ومنهم من أولها، قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ فِي «التوحيد» (٧٢٩/٢): هَذِهِ

اللَّفْظَةُ لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ الْعَرَبُ: يُنْفَى الْإِسْمُ عَنِ الشَّيْءِ لِنَقْصِهِ عَنِ الْكَمَالِ وَالْتِمَامِ، فَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، لَا عَلَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، وَقَدْ بَيَّنْتُ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِي. اهـ.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٣١٥/١١): رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ إِنْ صَحَّتْ رَفَعَتِ الْإِشْكَالَ فِي إِيمَانِ هَذَا الرَّجُلِ وَإِنْ لَمْ تَصَحَّ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ فَهِيَ صَحِيحَةٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى وَالْأُصُولِ كُلُّهَا تُعْضِدُهَا^(١) وَالنَّظَرُ يُوجِبُهَا لِأَنَّهُ مُحَالٌ غَيْرٌ جَائِزٌ أَنْ يُغْفَرَ لِلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُغْفَرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ لِمَنْ مَاتَ كَافِرًا وَهَذَا مَا لَا مَدْفَعَ لَهُ وَلَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَفِي هَذَا الْأَصْلِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ أَوْ لَمْ يَعْمَلْ

(١) تقدم تخریجها، وتصحيح من صححها (ص ٢٧).

خَيْرًا قَطُّ لَمْ يُعَذِّبْهُ إِلَّا مَا عَدَا التَّوْحِيدَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالْخَيْرِ وَهَذَا سَائِعٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ جَائِزٌ فِي لُغَتِهَا أَنْ يُؤْتَى بِلَفْظِ الْكُلِّ وَالْمُرَادُ الْبَعْضُ. اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» تحت الحديث (٧٤٣٩): قَرَأْتُ فِي «تَنْقِيحِ

الرَّرْكَشِيِّ»: وَقَعَ هُنَا فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بَعْدَ شَفَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: «بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا»، وَتَمَسَّكَ بِهِ بَعْضُهُمْ فِي تَجْوِيزِ إِخْرَاجِ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ، وَرَدَّ بِوَجْهَيْنِ:

• **أَحَدُهُمَا:** أَنَّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ ضَعِيفَةٌ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُتَّصِلَةٍ، كَمَا قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ

فِي الْجُمُعِ.

• **وَالثَّانِي:** أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَيْرِ الْمُنْفِيِّ مَا زَادَ عَلَى أَصْلِ الْإِقْرَارِ بِالشَّهَادَتَيْنِ. اهـ.

وتعقب الحافظ القول: بعدم الاتصال، ولم يتعقب القول الثاني: على أَنَّ الْمُنْفِيَّ مَا زَادَ عَلَى أَصْلِ الْإِقْرَارِ بِالشَّهَادَتَيْنِ.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تحت حديث رقم (١٨٣): وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الرَّوَايَةِ

الْأُخْرَى فِي الْكِتَابِ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ كَذَا وَمِثْلُهُ الرَّوَايَةُ الْأُخْرَى يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ لَا أُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. اهـ.

مختصر المقالة

وبهذا يتبين: أن لا حجة لمن زعم أن الكافر قد يكون موحدًا، عيادًا

بالله من هذه المقولة المعارضة لنصوص كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**

كقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا

يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ [فاطر: ٣٦]، وكل من ألفاظ

العموم، أي كافر يموت على كفر أكبر مخرج من الملة هذا جزاؤه، ولا يخرج منها:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ

نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٣٧﴾ [فاطر: ٣٧]، والصحيح أن

الندير هو النبي **ﷺ**، قال: «أنا النذير، والموت المعير، والساعة المؤعد»، وقال

الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ [القمر: ٢٣]، والأنبياء هم النذُر.

فهؤلاء الذين أنذروا على صنفين:

• منهم من يتذكر ويستفيد وهم أهل الخشية، المؤمنون تنفعهم الذكرى.

• والآخرون كفار أشقياء، لا تنفعهم الذكرى، وهم سيصلون النار

الكبرى، قال تعالى: ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ [الأعلى: ١١-١٢]،

وقوله: ﴿الْكُبْرَى﴾، دليل على أن نار الآخرة كبرى، ونازنا هذه دونها، في

«الصحيحين» عن أبي هريرة **رضي الله عنه**، أن النبي **ﷺ**، قال: «ناركم هذه التي

يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا، من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية، يا

﴿ وأهل النار يتمنون الموت فلا يجدونه، ﴿ وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَلَائِكَةٌ ﴿ ٧٧ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿ ٧٨ ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨].

﴿ وكذا يتمنون الراحة يوماً واحداً، ما يجدون: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿ ٤٩ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَاذْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿ ٥٠ ﴾ [غافر: ٤٩-٥٠]، أي: أن دعاء الكفار لا يُستجاب.

وقوله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ ٧٢ ﴾ إِنَاءَ مَا بَرَّنا لِيَعْفَرَ لَنَا حَظِينَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ ٧٣ ﴾ إِنَّهُ وَمَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿ ٧٤ ﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿ ٧٥ ﴾ ﴾ [طه: ٧٢-٧٥].

كلما نضجت جلودهم أُعيدت، قد يقول قائل: النار تأكلهم، وسيموتون؟ لا، كلما زالت هذه الجلود أُعيدت، بُدلت: بمعنى أُعيدت، ليذوقوا العذاب، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿ [النساء: ٥٦].

صَبَرَ أَوْ لَمْ يَصْبِرْ هَذَا جَزَاؤُهُ، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ

﴿١١﴾ [إبراهيم: ٢١]، يَخْطُبُ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ولا كافر بكفر أكبر يخرج من النار إلى الجنة أبداً، بدليل قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦]، ولا مغفرة له، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣-٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ولا شفاعة له: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ

لَهُوَ وَلِعْبًا وَغَزَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ [الأعراف: ٥٠-٥١]، فالجنة وما فيها عليهم حرام، وهم متروكون في النار.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥].

فالكفار أعمالهم محبوبة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿١﴾ [محمد: ١]، أي: أحبطها، الله يقول لنيبه وهو معصوم عن ذلك، ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥] أي: من الأنبياء، ﴿لَيْتَ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦]، كقوله في سورة الأنعام بعد ذكر جملة من الأنبياء، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨].

أعمالهم هباء منثور: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿١٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، كسراب ببيعة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ﴾ [النور: ٣٩] أعمال، عندهم أعمال تنفعهم لو كانوا مسلمين، لكنها مع الكفر تصير: ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ﴾

[النور: ٣٩] أي: بأرض قيعة، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ [النور: ٣٩]، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ أُسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ [إبراهيم: ١٨].

فوجب الإيـان بأن الكفر محبط للأعمال، وأن الإسلام له نواقض، فإذا انتقض إسلامه فلا يحتسب من أعماله شيء، فالتوحيد ينقضه الكفر والشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال الله عزَّوجلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» الحديث في الصحيح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

فحافظ أيها المسلم على دينك، فقد ينتقض الإسلام بكلمة كفر؛ لحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، فِيهِوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»، وقال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ

مختصر المقالة

وَأَيَّتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفُ
عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَيْمَانُ
يَسْأَلُونَ﴾ [التوبة: ٧٤].

**وما أجمل ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: مَنْ فَارَقَ الدَّلِيلَ،
ضَلَّ عَنِ السَّبِيلِ، وَلَا دَلِيلَ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.**

فالقول: بأن النصراني موحد، هذا كلام ضال، تردّه الأدلة، فالنصارى كفار
مشركون، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُنْزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ
ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْزِلُ يُؤَفِّكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴿[التوبة: ٣٠-٣١] اتخذه ربًّا، أهنالك شرك أكبر
من هذا؟!﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ
إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ [التوبة: ٣١-٣٢].

وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾ [البينة: ٦]

النبي ﷺ لما أخبرته أم سلمة لما رأت في الحبشة - حين هاجرت مع زوجها عبد الله بن عبد الأسد - كنائسهم، قال: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»، متفق عليه، وقد قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٥٥] الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٥٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٢٢]

فأفقه دين الله يا عبد الله، واعتقد أن الإسلام نجاة وأنه له نواقص تنقضه، وأن من مات وقد انتقض إسلامه سواء كان كافرًا أصليًا أو مرتدًا أنه خسر حياته، وخسر نفسه وأهله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۗ﴾ لَهُمْ مِّنْ قُوَّتِهِمْ ظُلْمٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلْمٌ ۗ﴾ [الزمر: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ

يَبْعَثُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١١٠﴾ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٣﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُسَلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٥﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١٦﴾ قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَاْمِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴿المؤمنون: ٩٩-١٠٨﴾ الآيات، وكلها دليل على خلودهم وعدم خروجهم.

ويود الخالد فيها أن يفتدي بكل شيء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة: ٣٦]، ومثل ذلك، قول الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَلْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّدُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَظْلَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْىِ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١١-١٨] الآيات.

ولا يخرج من النار حتى يلج الجمل في سم الخياط، وهذا شيء مستحيل أن يلج الجمل في ثقب الإبرة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ

أَبْوَابِ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمَنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴿الأعراف: ٤٠-٤١﴾.

لبأسهم نار، قال تعالى: ﴿قَالِذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ شِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ

فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَمَعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾
كَلَّمَآ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٩-٢٢﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

طعامهم نار، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَيْتِيمِ ﴿٤٤﴾

كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ
الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ [الدخان: ٤٣-٥٠].

عليهم نار: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ [الدخان: ٤٣-٥٠].

وأما قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٥١﴾ لِلطَّاغِيْنَ مَتَابَا ﴿٥٢﴾

لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابَا ﴿٥٣﴾ [النبا: ٢١-٢٣] ومعنى ﴿أَحْقَابًا﴾ أي: أزمنة لا نهاية لها، قال

تعالى: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٥]، هذا هو الفهم الصحيح،

ليس معنى الآية أنهم يمكنون ثم يخرجون، ولكنها مبينة بأدلة الخلود في النار

للكافرين، كما سبق ذكرها.

مَخَصَرُ الْمَقَالَةِ

وقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، أخرجه مسلم (١٣٥)، أي: من أصحابها الذين لا يموتون فيها ولا يحيون.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدَعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»، أي: ما أسلم، لا يَغْفِرُ اللَّهُ، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا بِهَا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٣-١١٤] كل كافر، عدو لله، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴿١﴾﴾ [المتحنة: ١].

والمؤمنون أولياء الله، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أْتَرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [التوبة: ١٤٥]، فترى الذين في قلوبهم

مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْيِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

الكفار ملعونون، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨]، يتضاعف عذابهم لا ينقص.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوهَا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِطْنَهُمْ لَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَلْؤَلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلٰكِن لَّا تَعْمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولٰٓئِهِمْ لِأَخْرَجْنَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فذُوُّوا الْعَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٧-٣٩].

الكفار يتبرأ بعضهم من بعض: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ
النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ
وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ
قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَقِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾
الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ [ق: ٢٠-٢٦].

نسأل الله عزَّ وجلَّ العافية، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿١﴾ [البقرة: ٢٠١].



وبعد ذلك، فهذا الذي يسر الله تعالى في هذه المسألة: العذر بالجهل، أسأل الله جلا وعلا أن يجعل فيها النفع لي ولإخواني أهل السنة، وهي مسألة قديمة تليدة، وليست بحادثة جديدة، ولم يُبدع علماءنا رحمهم الله فيها من قال: بهذا القول، أو ذاك، مما تقدم تلخيصه، وبالله التوفيق.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَنَحْمَدُكَ، أَسْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.



وكتبه أبو عبد الرحمن:

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوَازِي

الخميس ٨ / صفر / ١٤٤٥ هـ



فهرس أطراف الحديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ	١٧
٢	أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا	١٥
٣	أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ	٤٠
٤	أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ	١٠
٥	أَلَا هَلْ بَلَغْتُ	٢٦
٦	أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا	٤٩
٧	إِنَّ أَبِي، وَأَبَاكَ فِي النَّارِ	١١
٨	إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ	٥٣
٩	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِحِ	٦
١٠	أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا	٢٥
١١	إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ	٢٢
١٢	إِنَّ رَجُلًا مَنَّ كَانَ قَبْلَكُمْ رَعَسَهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا	٢٨
١٣	أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ	٦
١٤	إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ	٤١
١٥	أَنَا النَّذِيرُ، وَالْمَوْتُ الْمَغْبِرُ، وَالسَّاعَةُ الْمَوْعِدُ	٤٨
١٦	«أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ»	١٢
١٧	أَوْ مَخْرَجِي هُمْ	٨
١٨	أَوْلَيْتُكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ	٥٥

الصفحة	طرف الحديث	٥
١٢	أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ	١٩
٢٢	بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فَنَنَا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	٢٠
١٣	بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الْأَمْصَارِ، يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ	٢١
٤٧	بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا	٢٢
٢٧	تُؤَخِّدُ مِنْ أَعْيُنَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقْرَائِهِمْ	٢٣
٧	رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو وَبْنَ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ	٢٤
٢٢	الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ	٢٥
١٦	فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا	٢٦
٤٥	فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ	٢٧
٢٢	فَلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى	٢٨
٢٩	كَانَ رَجُلٌ يَمُنُّ كَانَ قَبْلَكُمْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ	٢٩
٢٨	كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ	٣٠
٩	لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ	٣١
٢٧	لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ	٣٢
٥٨	لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي	٣٣
٢٥	لَكَّهَ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ	٣٤
٤٥	لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ	٣٥
٤٠	مَا عَلِمْتَ إِذْ كَانَ جَاهِلًا	٣٦
٢٦	مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ	٣٧
٥٣، ٤٩	مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ	٣٨

الصفحة	طرف الحديث	ر
٤٨	تَارِكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءً مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا	٣٩
١٨	الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ وَالْمُعْتَوُّ وَالْمَوْلُودُ	٤٠
٥٨	وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ	٤١
١٠	وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ	٤٢
١١	يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ	٤٣
٨	يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحْدَهُ	٤٤
٢٥	يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَغْتَ؟	٤٥
٣٣	يَدْرُسُ الْإِسْلَامَ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ	٤٦
١٦	يُؤْتَى بِأَرْبَعَةِ يَوْمٍ الْقِيَامَةِ: بِالْمَوْلُودِ، وَالْمُعْتَوِّ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ	٤٧
١٨	يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْمُسُوخِ عَقْلًا وَبِالْهَالِكِ فِي الْفِتْرَةِ وَبِالْهَالِكِ صَغِيرًا	٤٨



المحتويات

٣	المقدمة
٣	الفقرة الأولى: الكفار الذين أبان الله كفرهم في كتابه
٥	الفقرة الثانية: أهل الفترة، ومنهم:
٦	من بلغه دين النبي الذي قبله فأخذ به
١٠	الصنف الثاني: من أهل الفترة: من بلغته دعوة نبي قبله فأعرض
١٥	الصنف الثالث: وهم من لم تبلغهم الدعوة لا يحكم لهم بجنة ولا نار
٢٠	الفقرة الثالثة: وفيها الكلام على مسألة العذر بالجهل
٢٢	أنواع الردة كثيرة:
٢٢	منها النفاق الاعتقادي
٢٢	ومنها ترك الصلاة
٢٣	ومنها الاستهزاء بالله وآياته ورسوله
٢٣	أن نواقض الإسلام، عشرة نواقض
٢٥	الفقرة الرابعة: موانع التكفير
٢٨	ومن أدلة الباب
٣٥	من قامت الحجة على كفره البواح، فأعرض، شرع تكفيره
٣٥	من لم تبلغه الحجة، أو لم يفهمها
٣٦	ما يترتب من الحكم على الشخص بالكفر
٣٩	لا يجزم بالقول: أنه لا يمكن أبداً أن يكون هناك من لم تبلغه الحجة
٣٩	من فعل الكفر ممن جهل الحجة
٤٠	الفقرة الخامسة: ومن كانت الحجة ظاهرة قائمة، والقرآن يتلى
٤١	المعرض ما يقال عنه معذور
٤٢	الفقرة السادسة: مجمل الخلاف في مسألة العذر بالجهل وعدمه، بيان بطلان بعض أقوال عبد الله الجربوع
٤٢	الأولى: هل يوجد جاهل لم تبلغه الحجة في مثل هذه الأزمان؟

- الثانية: من دان لله ببعض أمور الإسلام، وجهل بعضه لعدم بلوغ الحجة ٤٣
- اختلاف بعض إخواننا أهل السنة في الحكم الديني عليه ٤٣
- بعض كلام عبد الله الجربوع المنشور ٤٤
- بطلان مقولة: أن بعض الكفار عندهم توحيد ٤٥
- بيان لفظة: «لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ» ٤٥
- لا حجة لمن زعم أن الكافر قد يكون موحدًا، معارضة نصوص كتاب الله - ٤٨
- الذين أُندِرُوا على صنفين ٤٨
- أحوال أهل النار ٥٠
- الكافر بكفر أكبر لا يخرج من النار إلى الجنة أبدًا ٥١
- الكفار أعمالهم محبوبة ٥٢
- القول: بأن النصراني موحدٌ، هذا كلام ضال ٥٤
- فهرس أطراف الحديث ٦٢**
- المحتويات ٦٥**
- فهرس الأحاديث خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.**